بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله - اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، فكان منهم للناس الأسوة الحسنة فى النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

والصلاة والسلام على صفوة آل إبراهيم سيدنا ومولانا محمد الذى أرسله الله رحمة للعالمين، وبشرى للمؤمنين، فهدى الناس من الضلال، وأخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، ورضى الله عن آله وأصحابه وأزواجه وذريته الطيبين الطاهرين، وعمّن والاهم بإحسان ونظر فى سيرتهم بإمعان للعبرة، والاعتبار فكان من أولى الأبصار.

وبعد فأستميح القارئ عذرًا إذا قلت له: إننى هائم بحب أهل البيت، واتجهت دراساتى بالكامل إلى هذه السيرة العطرة بإمعان وبعمق، بل قد أقول: إنى قد تخصصت فى هذه الدراسة - كل هذا بفضل الله سبحانه وتعالى.

يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم : ﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلاّ المودّة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنًا إن الله غفور شكور﴾.

واقتراف الحسنة التى يزيدها الله حسنًا هو مودّة سادتنا آل البيت، وإرضاء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وما أبدع ما يقول سيدى محيى الدين بن عربى فى شعره الرقيق :

أرى حب أهل البيت عندى فريضة على رغم أهل البعد يورثنى القربا
فما اختار خير الخلق منّا جزاءه على هدْيه إلاّ المودّة فى القربى

وما أصدق ما يقول إمامنا علىّ فى السادة أهل البيت :

« أين الذين زعموا أنهم الراسخون فى العلم دوننا، كذبًا وبغيًا علينا، أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم، وبنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى ».

وما أصدقه كرم الله وجهه حين يقول مرة أخرى فى وصف آل لبيت : « هم عيش العلم وموت الجهل، بخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حكم منطقهم - لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه - هم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام - بهم عاد الحق إلى نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل

سماع ورواية، فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل».

والسيدة نفيسة موضوع كتابى هذا من أهل البيت - فهى كريمة الدارين ابنة الإمام الحسن الأنور بن زيد الأبلج ابن الإمام الحسن ابن الإمام علىّ بن أبى طالب، رضى الله عنهم أجمعين - وقد ولدت بمكة ونشأت بالمدينة وسيرى القارئ الكريم مدى حبها للعبادة من صغرها - وكانت لا تفارق حرم الرسول عليه الصلاة والسلام - وكانت تبكى بكاءً شديدًا وتتعلق بأستار الكعبة وتقول :

« إلهى وسيدى ومولاى : متّعنى وفرّحنى برضاك عنى، فلا تسبب لى سببًا به عنك تحجبنى».

وسيرى القارئ أيضًا ما قصته زينب ابنة أخيها يحيى المتوج، طرفًا من حياة عمتها فتقول : « خدمت عمتى نفيسة أربعين سنة، فما رأيتها نامت الليل ولا أفطرت بنهار - فقلت لها : أما ترفقين بنفسك؟ فقالت : كيف أرفق بنفسى وأمامى عقبات لا يقطعها إلّا الفائزون» وتقول زينب : كانت عمتى نفيسة تحفظ القرآن وتفسيره، وكانت تقرؤه وهى تبكى وتقول : إلهى وسيدى يسّر لى زيارة قبر خليلك إبراهيم. فاستجاب الرحمن لدعائها، وزارت هى وزوجها إسحاق المؤتمن، بن جعفر الصادق قبر الخليل ثم رحلا إلى مصر فى رمضان سنة ١٩٣ هـ.

وإنى أتمثل فى تاريخها ما حباها الله عز وجل من علم وخلق

أشم، وما اختصها الله به من نفحات وكرامات :

من معشر حبهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم فى كل بدء ويختوم به السكلم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
يستدفع الشر والبلوى بحبهم ويسترب به الإحسان والنعم.

فنفحاتها نافحة، وبركاتها لائحة، وأنوارها ساطعة، وكراماتها رائعة، فلنقطف من حديقتها، ونستنير بنور رحبتها، ونستمسك بمحبتها والاهتداء بهديها، وأن نتوسل إلى الله سبحانه وتعالى فيما ينوبنا، فإنها من آل بيت اصطفاهم ربهم وأنزلهم فى علّيين، واستجاب دعاءهم.

هم القوم من أصفاهم الودّ ملخصًا تمسّك فى أخراه بالسبب الأقوى
هم القوم فاقوا العالمين مناقبًا محاسنهم تحكى وآياتهم تروى
موالاتهم فرض وحبهم هدى وطاعتهم ودّ وودّهم تقوى

فأمدّنا الله من فيض إمدادها وجعلنا الله فى زمرة أحبابها وقصّادها، فهى سيدة أهل اليقين، ورافعة لواء الإجابة للزائرين والقاصدين بابها.

وجاء فى كتاب (الدرة النفيسة فى ترجمة السيدة نفيسة)، أنه ينبغى لمن زار هذا المكان أن يقول عند دخوله من باب الضريح :

رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد - اللهم إنك قد ندبتنى إلى أمر قد فهمته واعتقدته، وجعلته أجرًا لنبيك محمد صلى الله عليه وسلم، الذى هديتنا به إليك ودللتنا به عليك، فكان كما قلت وكان بالمؤمنين رحيمًا حبيبًا إليه ما هديتنا، عزيزًا عليه ما عنتنا، وتلك الفريضة التى سألتها له وهى المودّة فى القربى، اللهم إنى مؤدّيها مريد النفع بها فى دينى ودنياى، فتوسل إليه بها يوم انقطاع الأسباب، اللهم زدهم شرفًا وتعظيمًا، وهب لنا بزيارتهم مغفرة وأجرًا عظيمًا.

فإلى كل محب لسادتى آل البيت الكريم، أقدم هذا الكتيب - طامعا فى دعوة صالحة من كل قارئ وراجيًا أن ينفع الله به.

والله عز شأنه أسأل أن ينفعنا بسادتى أهل البيت الذى قال فيهم سبحانه وتعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا﴾.

وبشفاعة سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم

والحمد لله رب العالمين

وما توفيقى إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

توفيق أبو علم

رئيس مجلس إدارة مسجد

السيدة نفيسة